العددِ 19A تشرين الثاني 2025
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No.19 – Nov 2025 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

شخصية سلاطين المماليك في التصدي للكيان الصليبي في بلاد الشام

م.م وديان هيثم داود

Wedyan Haitham Dawood

الجامعة المستنصرية – كلية التربية

Al-Mustansiriya University – College of Education

المقدمة:

كان الشرق العربي الإسلامي في العصر الوسيط يعيش إنقساماً داخلياً عنيفاً من الناحيتين السياسية والدينية، فمن خلافة عباسية في بغداد إلى خلافة فاطمية في القاهرة، وبسبب هذا الإنقسام عاشت بلاد الشام صراعاً عسكرياً مريراً بين الخلافتين، وفي خضم هذه الأحداث، وفي غفلة من العباسيين وتغافل من الفاطميين، تمكن الأربيون بدعوة من البابوية من احتلال بيت المقدس وجميع الساحل السوري من أقصاه إلى أقصاه.

وقد شكل هذا الاحتلال الأوربي الصليبي تحديداً خطيراً للأمة العربية الإسلامية ، ليس على الأرض فقط ، ولكن في معتقداتهم الدينية، وأمام هذا التحدي هب الرأي العام الإسلامي بكل وعي وحماس، ونادى بالتغيير والتصدي للمعتدي المحتل تحت شعار الوحدة والجهاد، فكان عماد الدين الزنكي، ونور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبي، وكانت الوحدة الإسلامية بين مصر وبلاد الشام التي حققها صلاح الدين بانتصاره في معركة حطين وتحرير بيت المقدس.

على أن راية الوحدة والجهاد تذبذبت بعد صلاح الدين بين الارتفاع والانخفاض وظلت على تذبذبها إلى أن قامت دولة المماليك في مصر، فعادت الراية إلى الإرتفاع والإرتقاء من جديد، فكانت الوحدة بين مصر وبلاد الشام من جديد، وكان الجهاد العربي الإسلامي ضد الصليبيين حتى تم التحرير والتطهير الشامل، فسقطت الحروب الصليبية وسقط شعارها معها، وظلت راية الوحدة والجهاد مرفوعة خفاقة بأيدي المماليك لمجابهة كل من يتجرأ على الأمة العربية الإسلامية، وقد انبرى المماليك لمجابهة الصليبيين على كل الجبهات إلى درجة أنهم نقلوا المعركة إلى عقر دار الصليبيين في جزر حوض البحر المتوسط فداسوا شعلتها بأقدامهم.

أ- مجمع ليون - أيار 1274 م:

دعا إلى عقده البابا جريجوري العاشر الذي أصبح البابا بين عامي 1271/1276م، وهو مجمع صليبي في مدينة (ليون) الإسبانية التي ضمها فيليب الرابع عام 1312م إلى فرنسا، وهي المدينة التي وصلت إليها جيوش العرب في العصر الأموي، وقد شهد المؤتمر عدد كبير من أساقفة الشرق يتصدرهم أسقف طرابلس، ومقدم الداوية " وليم بوجيه."

وقد عقد في شهر أيار 1274م وقد سعى البابا في العام التالي لإقناع أوربا بتنفيذ قرارات ذلك المجمع، فبادر ملك فرنسا فيليب الثالث الذي حكم بين عامي 1270/1285م إلى المساهمة في حملة صليبية بالتعاون مع ملك الدولة الرومانية المقدسة رودلف الأول هابسبورج الذي حكم ما بين عامي 1273/1291م ، مقابل الحصول على وعد بأن يتوجه البابا في روما امبراطوراً. وفي نفس الوقت حاول البابا أن يهي الأرض المقدسة لقدوم الحملة الصليبية فأمر بإصلاح الحصون في الشرق وعمارتها وإرسال أعداد كبيرة من العساكر المأجورة والمدربة تدريباً عالياً إلى الشرق. [1]

ب - المغول في مجمع ليون:

([1]) رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، تحق: السيد الباز العريني، دار الثقافة، (بيروت 1969)، م3، ص 586 .

وقد حضر هذا المجمع مبعوثون من المغول تنصر اثنان منهم على يد كاردينال أوستيا البابا انوسنت الخامس الذي لاحقاً أصبح البابا في عام 1276م.

وقد تلقى المغول ردوداً ودية من البابا والمجلس البابوي حول تنسيق الجهود بين الطرفين ضد قلاوون ودولة المماليك ، حيث وصل وفد المغول إلى انكلترا سنة 1276م وسلموا ملكها ادوارد الأول الذي حكم انجلترا بين عامي 1272/1307م ، رسالة من سيدهم أباقا، ولم يحبط هذا التحالف الصليبي المغولي إلا ملك صقلية شارل الأول (الأنجوي) الذي حكم صقلية ما بين عامي 1266/1285م، [2] حيث قال إن المغول يحالفون أعداءه البيزنطيين، وكان لدوره أثر كبير في فشل مجمع ليون الذي كان أقرب إلى المجامع العسكرية منه إلى المجامع الدينية . [3]

ج : معارك التحرير في عصر الملك المنصور

1- معركة حمص : معركة صليبية بسيوف مغولية(680هـ / 1281م).

لابد من الإلمام بهذه المعركة التاريخية لعدة أسباب منها:

أن حوالي نصف الجيش المغولي كان من الكرج والأرمن والفرنجة وجميعهم نصارى، بل إن قائد المغول نفسه منكوتمر كان نصرانياً

وكان الصليبيون في إماراتهم الساحلية كما سنرى، يتابعون أخبار هذه المعركة باهتمام شديد، ومن ورائهم الباباوات وحلفاء المغول الأوربيين، حتى أنه يمكن القول بأن هذه المعركة كانت معركة صليبية بسيوف مغولية.

ولقد رأى المنصور قلاوون أن اتفاقيات الهدنة التي وقعها مع عكا وطرابلس، وهو متوجه للقاء المغول، ستكون حبراً على ورق إذا ما أنهزم الجيش الإسلامي أمام المغول، ولذلك قرر مواجهتهم عسكرياً، لتثبيت مركزه المهم كسلطان المسلمين، ولإقناع البقية الباقية من الصليبيين بضرورة المبادرة إلى توقيع المعاهدات معه، ومن هنا كان لا بد من الإشارة إلى هذه المعركة التي تعد من أول المعارك العسكرية الحاسمة التي خاضها السلطان قلاوون.

وهي من الناحية العسكرية تعد من المعارك التقليدية العادية لعدم استخدام الأسلحة الثقيلة" فيها، حيث التقى الجانبان وجهاً لوجه ، وكانت الحرب بالسيوف والفؤوس والنبال بعكس الحروب مع الصليبيين والأرمن التي كانت المنجنيقات والأسلحة الثقيلة هي العامل الحاسم فيها، ويبدو أن المغول لم ينسوا هزيمتهم في عين جالوت فأرادوا أن يعيدوا الكرة لإثبات وجودهم في أعين المغول أنفسهم وأعين حلفائهم الجدد الصليبيين.

وكما هو الحال في كل زمان ومكان، فإن القوي لا يعدم الأعذار التي يتذرعها لابتلاع الضعيف، وكانت أعذار المغول دائماً هي اعتداء الأمراء الموالين لدولة المماليك عليهم، ونشر الزعر على الحدود. [4]

وكان المغول كثيراً ما يجتاحون بعض المناطق الحدودية، ثم ينسحبون عندما تصلهم أخبار تحرك السلاطين، ومن المؤسف أن بعض أمراء المماليك كان لهم دور غير مشرف مع المغول، وعلى رأسهم الأمير سنقر الأشقر، الذي كاتب

([2]) فرح نعيم : تاريخ أوربا السياسي في العصور الوسطى ، ط2، منشورات جامعة دمشق،(دمشق 2000م)، ص 300

([3]) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، م3، ص593.

([4])المنصوري، مختار الأخبار، ص 72.

"أبغا" وأرسل رسلاً من قبله إلى بلاد المغول للقدوم إلى الشام واحتلالها، مع الوعد بالمساعدة وكان سنقر هذا قد تزوج من المغول وأنجب منهم، وما زال يلح على أبغا حتى أقنعه بإرسال جيوشه إلى الشام.

ولذلك بادر المنصور قلاوون إلى محاولة رأب هذا الصدع فأرسل إلى الأمير سنقر يقول له: " لقد

أفنيت عمرك في الإسلام، ولما اقتربت من الحمى تجاهد المسلمين مع التتار وتميل عن دينك إلى الكفار . [5]

والمهم أن السلطان بادر إلى التحرك الفوري على النحو التالي:

في أوائل ذي الحجة 679هـ / 1280م تحرك السلطان من القاهرة متوجهاً إلى الشام . [6]

ووصل السلطان إلى دمشق يوم 20 من المحرم سنة 680هـ / 1281م وهو أول دخوله سلطاناً إليها، واحتفل به أهلها احتفالاً خيالياً.

ومنها كتب إلى الأمير : شرف الدين عيسى بن مهنا بالمسير إلى الرحبة.

وكتب إلى الملك المسعود خضر بن الملك الظاهر بإرسال من عنده من العساكر إلى دمشق. فدخل المسعود نفسه دمشق يقود عساكره بنفسه، وطلب من عرب بني عقبة الحضور إلى دمشق.

وفي يوم السبت 18 جمادى الآخر 680هـ / 1281م وصل إلى دمشق عدد من العربان بقيادة الأمير أحمد بن حجي. [7]

وذكر شافع بن علي أن السلطان وأمراءه كانوا قد اتفقوا أن يكون اللقاء في مرج الزنبقية قرب دمشق. [8]

وفائدة هذا الرأي:

القرب من دمشق وقلعتها وأسوارها، والاستفادة من ذلك في حالة الهزيمة، لكنهم عدلوا عن هذا

الرأي، لأن معظم القوات العسكرية كانت قريبة من حمص.

ولذلك قرر السلطان التوجه شمالاً نحو حمص التي أصبحت مركزاً عاماً لتجمع الجيوش الإسلامية والعربان والمتطوعين. وأخيراً وفي يوم السبت 26 جمادى الآخرة 680هـ / 1281م خرج السلطان بجيوشه من دمشق، وخيم بالمرج. ووصل السلطان إلى حمص بجيوشه يوم الأحد 3 رجب 680 هـ / 1281م، وفيها كانت التعبئة الشاملة، فقد راسل منها سنقر الأشقر، فلان وطلب من السلطان أن يحلف له فحلف، ودخل إلى مخيم السلطان في رجب 680هـ / 1281م فاستبشر الناس به وقويت قلوبهم بقدومه، لأنه كان عوناً عليهم فصار عوناً لهم [9]

وفي حمص وصلت الأخبار الأولى إلى السلطان بأن التتار جمعوا نحواً من 120.000 مقاتل وأكد ذلك المدعو بهادر" وهو أحد أمراء منكوتمر الكبار الذي أسر في نواحي عينتاب، وبعد أن علم السلطان بكل ما طلب منه أودع في قلعة

([5]) المنصوري، مختار الأخبار، ص 72 .

([6]) الجزري، تاريخ ابن الجزري ،م 3، ص 305.

([7]) ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح : إحسان عباس، دار صادر، م1، ص 515 .

([8]) العمري، مسالك الأبصار، م 27، ص 431 .

([9]) ابن علي، الفضل المثور، ص 71.

دمشق. ثم جاءت أخبار مؤكدة خلاصتها: أن التتار قد جمعوا 80,000 وأنهم يتقدمون نحو حمص، وأن قائدهم هو منكوتمر أرسله أخوه أبغا" ملك التتار وأقام هو على ضفاف الخابور ينتظر أخبار النصر وأن في جيشهم 25,000 من خيرة الفرسان، وأن فيه 50,000 من التتار و 30.000 من الكرج والأرمن والفرنجة. ولذلك بادر السلطان إلى تفقد جيشه ورغبهم بما عند الله وأن الشجاعة صبر ساعة، كما وعدهم وعوداً جميلة، وقد تمت تعبئة الجيش

الإسلامي على النحو التالي :

2- تحرير المرقب : 684هـ / 1285م.

1 -مقدمات الفتوح

فتوح قلعة قطيبا - 682 هـ / 1283م:

هي من جملة قلاع آمد - ديار بكر - وكانت تابعة لها ثم صارت تابعة لإمبراطور بيزنطة، ثم انتقلت إلى المغول وكان فيها ضرر بالغ على قلعة كركر الإسلامية والثغور المجاورة لها . [10]

وكانت تقع على الضفة اليسرى لنهر الفرات من جهة الشرق، وجرياً على سياسة قلاوون في التخلص من المستعمرات الغربية سواء الصليبية أو المغولية في دولة المماليك، فقد رأى إزالة هذه القلعة فحاصرها بمائة من رجاله من قلعة كركر القريبة منها وضيق عليها الحصار، وعجز المغول عن إنجادها فاستسلموا، وتسلّم نواب السلطان القلعة منهم، وملأها بالرجال والعدد العسكرية ومواد التموين، وأقام فيها عدداً من الفدائيين للإغارة منها على آمد، ثم دعم ذلك بكميات كبيرة من الزردخاناه من دمشق حتى صارت من أقوى القلاع الإسلامية على الحدود الشمالية. [11]

ب فتوح حصن الكختا - 682هـ / 1281م:

هو حصن قريب من حصن قطيبا وكركر، ولا يقل مناعة عنه وهو غاية في الحصانة وبه نحو من سبعين مسكناً، وهو ثلاث طبقات وفيه صهاريج الماء العظيمة وستة أبرج وعشر بدنات وهي تحصين دون البرج طول الواحدة حوالي 35 متراً، ويتصل بالحصن قلعة كبرى محيطها نحو من 300 متر، وهي ثلاث طبقات أيضاً، والجميع مبني على مرتفع صخري شاهق ويشرف على واد عميق مغمور بالماء، وبجانب القلعة مدينة فيها أبراج وعدد كبير من الشراريف.

وقد رأى المنصور قلاوون ضرورة السيطرة على هذا الحصن والقلعة والمدينة بالحيلة، لتعذر إمكانية فتحها عنوة، فأرسل إلى وجوه أهلها ومناهم بالوعود الجميلة ووعدهم بمزيد الإكرام، فقام جماعة منها وقتلوا حاكمها من جهة المغول وأسمه "شجاع" وأقاموا مكانه رجلاً يدعى بدر الدين وتسلم أمراء الملك المنصور قلاوون هذه القلعة وأحسنوا إلى أهلها، وشحنت القلعة بالأسلحة و المنجنيقات وأصبحت حصناً إسلامياً قوياً على الفرات على غرار حصن قطيبا، وذلك سنة 682هـ/1283م [12]

ج - تحرير مدينة أياس - 682هـ / 1283م:

([10]) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص 27؛ المنصوري، التحفة الملوكية، ص 108؛ مقريزي، السلوك، م1، ص 714 .

([11]) ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور، ص 29، وقد وصفها وصفاً دقيقاً استغرق صفحتين كاملتين .

([12]) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص 28؛ المقريزي : السلوك، م1، ص 716 .

كان ملك الأرمن في سيس قد هاجم حلب وأحرق مساجد فيها، وخالف شروط الهدنة مع الملك الظاهر بيبرس وأذى تجار المسلمين وأبدى عداءه للسلطان . [13]

وقد أراد المنصور أخذ الثأر لحلب، فأمر حكام الشام، ولا سيما نائب حلب، بالإغارة على بلاد الأرمن، فحاصروا مدينة أياس [14] ودخلوها بالسيف ونهبوها وقتلوا مقاتليها.

ثم هاجمتهم عساكر سيس فجأة عند باب إسكندرونة.

وأنتصر المسلمون وساقوا خلف المنهزمين إلى تل حمدون ووصلوا إلى نهر جيهان وعاد العسكر وقد غنموا ما لا يحصى كثرة، وقد تم ذلك كله دون أن يفقد المسلمون رجلاً واحداً . [15]

2- تحرير حصن المرقب : 684 هـ / 1285 م:

حصن المرقب : قلعة أثرية في السفوح الغربية لجبال اللاذقية، تتبع مدينة بانياس في محافظة

طرطوس، وترتفع عن البحر 360 متراً.

بنيت فوق جبل بركاني بازلتي، وتتحكم بموقعها المتميز بالطريق الساحلية، وتبعد 15 كيلومتر إلى الجنوب الشرقي من بانياس، ويربطها بها طريق معبد.

عرفت بعدة أسماء منها ماركابوس ومرغات ومرغا توم والمرقب، ويحيط بها سوران وخندق ومجموعة من الأبراج الضخمة والمنشآت العسكرية والمدنية، بناها العرب والصليبيون. وفيها عدد من الآبار وكنيسة جيدة المعالم، ويلحق بها برج الصبي ومرفأ صغير على شاطئ البحر، وبجوارها

تقع قرية المرقب التي بنيت أيام الملك الظاهر لوجود مسجد له فيها.

شيد أول حصن فيها سنة 454هـ / 1062م بأيد عربية.

احتلها البيزنطيون سنة 489هـ / 1104م ثم استعادها العرب.

ثم احتلها الصليبيون سنة 512هـ / 1118م على يد لاجين الصليبي.

ثم احتلها فرسان القديس يوحنا، ورمموا أسوارها .

حاول صلاح الدين فتحها سنة 582هـ / 1186م لكنه لم يستطع. وكذلك حاول ابنه سنة 601هـ)/ 1204م[16]

([13]) ابن عبد الظاهر محي الدين، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تح : عبد العزيز الخويطر (الرياض 1976م)، ص 432 وما بعد .

([14])) آياس: مدينة مجاورة للإسكندرونة، وكانت حدود سورية مع تركية تبدأ من أياس شمالاً، الموسوعة الإسلامية، دار المعرفة، ج3، ص 169 .

([15]) بن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور، ص 32.

([16]) مجموعة مؤلفين، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، قسم الدراسات العسكرية، دمشق 1992م، 5 مجلدات، م5، ص207–206؛ ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ،ج 8، ص 17 .

وكذلك حاول نائب حصن الأكراد الأمير الإسفهسلار [17] سيف الدين الطباخي سنة 679هـ /1280م . ثم حررها السلطان قلاوون سنة 684 هـ / 1285م.

وكانت قلعة المرقب التي تحتلها الإسبتارية، يعود حكمها إلى مقدمهم في عكا قرير كليام جوان دو مونفرت.

وكان الظاهر بيبرس قد هادئهم سنة 666هـ - 1268م لمدة عشر سنين انقضت في السنة التي توفي فيها، وبقيت المرقب تشكل رأس حربة للصليبيين.

وقد خطر للأمير سيف الدين الطباخي مباغت الحصن بهجوم مرتجل وبدون استعداد، فوصلت أخباره لسكان الحصن فكمنوا له وأسروا من كان معه، وكانت كارثة للمسلمين

فلما بلغ السلطان ذلك، غضب منه ، وأمر أن تكتب له رسالة من إملاء السلطان نفسه جاء فيها: " يا

متخلف، متى سمعت أن أحداً هاجم في ميمنة وميسرة الجيش على قلعة من الحجر.. " وأنكر عليه ما قام به غاية الإنكار . [18]

3 -تدمير حصن مرقية* : 684 هـ / 1285م:

يعد تدمير حصن مرقية واحدا من الأعمال التي تدل على عبقرية السلطان قلاوون السياسية والعسكرية من جهة، كما تدل على مدى النفوذ السياسي الذي وصلت إليه دولة المماليك وكلمتها النافذة على بقايا الأمراء الصليبيين في الشام.

وقد وصف مؤرخ السلطان قلاوون الذي كان شاهداً لمعاركه الحربية، أن السلطان بعد أن استولى على حصن المرقب تفرغ لأمر حصن مرقية الذي كان تابعاً للداوية (فرسان المعبد) بناه برتولما" الذي كان من أمراء حصن الأكراد.

4- فتوح اللاذقية 686 هـ / 1287 م:

تم الاتفاق بين السلطان قلاوون ومتملك طرابلس بيموند بن بيموند في الهدئة المبرمة في 27 ربيع الأول 680 هـ / 15 تموز 1281م - 15 تموز 1592 للاسكندر المقدوني على شروط عديدة ذكرناها، كما تضمن شروطاً مفصلة فيما يخص اللاذقية تحديداً. فقد اتفق أن تجبى الرسوم والضرائب في اللاذقية عن طريق الميناء والبرج وتوزع مناصفة بين الطرفين. وحتى يتم ذلك كان لا بد من إقامة مندوبين عن السلطان في اللاذقية على جسر أرتوسية.

وكان عدد المندوبين المسموح بهم 16 نفراً هم الرئيس والشاهد والكاتب وثلاثة علمان لهم وعشرة رجال في خدمتهم وذلك حتى يراقبوا حركة الميناء والبرج وما يصدر منهما وما يستورد وما يتجمع من الإيرادات من ذلك.

واتفق على أن تكون لمندوبي السلطان دور يسكنون فيها وألا يحصل منهم أذى الجماعة الأبرنس، وإنما يمنعون ما يجب منعه مثل الأسلحة والخمور، وقد سارت الأحوال هادئة بضع سنين . [19]

ثم اشتكى تجار حلب للسلطان المنصور قلاوون، بأنهم لا يرتاحون لإرسال بضائعهم إلى الميناء المسيحي في اللاذقية التي كانت آخر ما بقي من إمارة أنطاكية الصليبية.

([17]) الإسفهسلار : قائد الجيوش.

([18]) ابن علي، الفضل المأثور، ص 140 .

([19]) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص 90.

وفي سنة 686 هـ / 1287م وقع زلزال في اللاذقية ألحق ضرراً بأسوارها، فوجد السلطان أن الفرصة قد تهيأت لتحريرها. فادعى صاحب طرابلس أن اللاذقية مشمولة بالهدنة لأنها تابعة الأنطاكية، وليس لطرابلس، وعلى أثر ذلك أرسل السلطان الأمير طرنطاي لاحتلالها، فسقطت بيده في سهولة ويسر، فالتجأ حماتها إلى برج اللاذقية . [20]

وكان هذا البرج في البحر، وكان آفةً على المسلمين، وكان يتحصل منه للنصارى مال عظيم وفي سنة 686 هـ / 1287م وقع زلزال في اللاذقية ألحق ضرراً بأسوارها، فوجد السلطان أن الفرصة قد تهيأت لتحريرها. فادعى صاحب طرابلس أن اللاذقية مشمولة بالهدئة لأنها تابعة الأنطاكية، وليس لطرابلس، وعلى أثر ذلك أرسل السلطان الأمير طرنطاي لاحتلالها، فسقطت بيده في سهولة ويسر، فالتجأ حماتها إلى برج اللاذقية . [21]

وكان هذا البرج في البحر، وكان آفةً على المسلمين، وكان يتحصل منه للنصارى مال عظيم من ميناء اللاذقية. فقدر الله تعالى أن تصيبه زلزلة سنة 684 هـ / 1285م أثرت فيه كثيراً. ثم أصابه زلزال آخر في خامس صفر 686 هـ / 1287 م هدم برج الحمام ومكان الفنار.

وعندما التجأ المقاتلون إليه نصب طرنطاي الجسور إليه في البحر، وأحضر المنجنيقات وأخذت ترمي على الأماكن التي تأثرت بالزلزلة ، فأذعن من في البرج للتسليم وكان ذلك يوم الأحد 5 ربيع الأول 686 هـ / 20 نيسان 1287م، وخرجوا على وجوههم بأنفسهم وأموالهم وتركوا السلاح فيه ورفعت عليه الأعلام السلطانية وأذن المؤذن فيه للظهر، ثم هدم البرج وعادت اللاذقية لاذقية للعرب المسلمين. ونقلت المنجنيق إلى حصن المرقب. [22]

خامساً ـ تحرير طرابلس:

1 -تحرير طرابلس 688 هـ / 1289 م:

كان تحرير طرابلس من آخر الأعمال العسكرية الحاسمة التي قام بها السلطان الملك المنصور قلاوون، وقد ارتبط اسمه إلى الأبد بهذه المدينة كما ارتبط اسم المعز الفاطمي بمدينة القاهرة.

ويعود تاريخ بناء طرابلس إلى العصر الفينيقي القديم حوالي 2500 ق.م، ويطلق المؤرخون العرب عليها اسم أطرابلس عادة [23].

وطرابلس الحالية بلدة حديثة، أما البلدة القديمة فتقع على بعد 3 كم من طرابلس البلدة ، وأمامها في البحر عدد من الجزر منها جزيرة البقر، وهي التي كان يطلق عليها خلال الاحتلال الصليبي اسم جزيرة سان توماس" وهي التي كانت آخر مأوى للصليبيين في طرابلس . وهناك جزيرة : سنني وجزر المقاطيع وجزيرة الأرانب أو النخيل، وجزيرة الفنار التي تبعد عن الأسئلة 6 كم . [24] أما عن تاريخ طرابلس فقد فتحها المسلمون على يد معاوية بن أبي سفيان 16هـ / 638م.

([20]) ابن الفرات، تاريخ الدول والملوك ، م 7 ، ص 205 .

([21]) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية ، م 3 ، ص 681 .

([22]) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص 152؛ العمري، مسالك الأبصار ، م 27 ، ص 448؛رسيمان، تاريخ الحروب الصليبية م 3 ،ص681.

([23]) الحموي، معجم البلدان، م 1، ص(256-257)

([24]) الزين، سميح تاريخ طرابلس دار الأندلس، (بيروت 1969)، ص 31 .

وفي سنة 502هـ / 1108م احتلها الصليبيون بعد حصار دام عدة سنوات وحكمها عشرة من الأمراء : أولهم ريموند الصنجيلي وآخرهم بيموند السابع . [25]

وفي سنة 686هـ / 1287م هلك بيموند السابع أمير طرابلس دون وريث، وعند ذلك أعلن فرسان طرابلس وتجارها قيام كومون أي مجلس بلدي مستقل في طرابلس.

وفي الوقت نفسه وصلت "لوسيا" أخت بيموند وادعت أنها وريثة بيموند، وصاحبة طرابلس و استنجدت بالاسبتارية حلفاء أخيها لاستعادة حقها الشرعي. وقد رد "كومون طرابلس بالاستنجاد بجنوه وطلب معونتها كما استنجد بارتلميو صاحب جبيل ورئيس كومون طرابلس بالسلطان قلاوون. [26]

وقد بادرت جنوه إلى إرسال قواتها البحرية إلى طرابلس التي أصبحت تابعة لجنوة، وحصل الجنويون على مقعد لهم في طرابلس، وأعلنوا "لوسيا أميرة على طرابلس، ليس لها من الأمر إلا الاسم.

أما الأمير بارتلميو فقد رأى أنه خرج من الصفقة صفر اليدين، فأرسل للسلطان رسولين من البنادقة أعلماء أن وجود جنوة في طرابلس يعد خطراً على دولته ولا سيما الاسكندرية.

ولم يكن السلطان بحاجة إلى من يحرضه على طرابلس، لأن بيموند السادس أمير طرابلس منذ سنة 659هـ - 1260م كان وراء استدعاء المغول إلى الشام ومخالفتهم على التنكيل بالمسلمين، وصار المماليك يتحينون الفرصة المناسبة التي جاءتهم على طبق من ذهب على يد بارتلميو، ولكن عندما بدأت الحرب تناسى الصليبيون خلافاتهم واتحدوا لمواجهة المسلمين ولكن بعد فوات الوقت، وجاءت الأساطيل الصليبية لنجدة طرابلس ولكنها وصلت متأخرة، تماماً كما وصلت سفن الفاطميين قبل 185 سنة[27]

وقد أجمع المؤرخون المسلمون على أن سبب مهاجمة السلطان لطرابلس، رغم وجود المعاهدة أو الهدنة، كان غدر أهل طرابلس بالتجار والمسلمين ومخالفتهم شروط الهدنة.

فقد ذكر المقريزي : " أنه في سنة 688هـ وردت الأخبار من طرابلس بأن الفرنج أقاموا في جزيرة أرواد وشحنوها بالعتاد والسلاح والسفن، وصاروا يركبون البحر، فرسم السلطان بعمل الشواني . [28] وذكر المقريزي : " أنه وردت كتب من نائب الشام بأن الفرنجة في طرابلس نقضوا الهدنة، وأخذوا جماعة من التجار وغيرهم أسرى، وكانوا لما ملك السلطان حصن المرقب قد بعثوا إليه بهدية.

سادساً: حروب التحرير في عهد الملك الاشرف خليل

1- تحرير عكا :

([25])الزين : تاريخ طرابلس ص 48-67-105 .

([26]) الزين: تاريخ طرابلس، ص(333-134)

([27]) الزين : تاريخ طرابلس، ص134.

([28]) السلوك، ط1، ص746.

بعد تحرير عكا من المواقع الفاصلة في الصراع العربي الإسلامي مع الصليبيين، لا يقل أهمية عن معركة حطين سنة 583هـ / 1187م أو معركة المنصور سنة 648هـ / 1250م ، لأن تحريرها أدى إلى تحرير الساحل السوري بكامله من الصليبيين.

ولقد كانت عكا بعدما استرجعها الصليبيون سنة 587 هـ / 1187م القلعة الحصينة والحصن الذي لا يرام، والقاعدة الرئيسة للصليبيين سواء الذين كانوا يحتلون قسماً من الساحل السوري، أو أولئك الذين كانوا يمدونهم بالرجال من وراء البحار.

وكان خط أوربا - قبرص - عكا هو شريان الأمل والحياة للصليبيين في الشام، ولذلك فإن انهيار عما كان يعني انهيار القاعدة العسكرية الأكبر للصليبيين في الشام.

وكان في عكا أماكن مقدسة للصليبيين مثل عين البقر، ومدينة الناصرة القريبة منها، ولذلك عدها الصليبيون جزءاً لا يتجزأ من مملكتهم الأولى في القدس.

كذلك فإنهم عندما أعادوا احتلال عكا سنة 0587/1187م ، كانوا يهدفون إلى إعادة احتلال

القدس، وهو ما حاولوا القيام به مراراً.

عكا مدينة كنعانية قديمة تعود نشأتها إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، وكانت تعرف بعكو، كما عرفت بـ عكة ، حاول العبرانيون احتلالها لكنهم ارتدوا عنها خائبين، وقد خضعت في القرن الثامن قبل الميلاد إلى سيطرة الآشوريين، ثم احتلها الفرس في القرن السادس قبل الميلاد.

ثم أصبحت مع سورية ومصر والرافدين جزءاً من إمبراطورية الإسكندر المقدوني العظمي وفي سنة 64 ق.م احتلها الرومان، وأخيراً وفي سنة 14هـ / 636 م فتحها شرحبيل بن حسنة في أيام الخليفة عمر بن الخطاب، وفي أيام الخليفة عثمان بن عفان، وولاية معاوية على الشام انطلقت منها الحملة البحرية الأولى إلى قبرص سنة 28 هـ / 649م ثم إلى رودس سنة 33هـ / 654م. [29] " ثم توالى على حكمها الطولونيون والأخشيديون والفاطميون، وقد سقطت وهي بيد الفاطمين بعد استسلام حاكمها الفاطمي زهر الدولة الجيوشي لصاحب مملكة القدس اللاتينية الملك "بغدوين" في شهر رجب سنة 497 هـ / 1104م.

ثم أصبحت عكا ميناء مملكة القدس الرئيسي، وتعاقبة عليها أعمال البناء والتحصين على مدى أكثر من ثمانين عاماً، وزارها ابن جبير عندما كانت تحت حكم الصليبيين سنة 580هـ / 1184م، أي قبل تحريرها بثلاث سنين فقال: «هي قاعدة مدن الإفرنج بالشام، والمشبهة في عظمتها بالقسطنطينية، ملتقى تجار المسلمين والنصارى .... تستعر كفراً وطغياناً، وتفور خنازير وصلباناً، انتزعها الإفرنج من أيدي المسلمين فعادت مساجدها كنائس، وظهر الله من دنس الصليبيين مسجدها الجامع وهو بقعة بقيت بأيدي المسلمين مسجداً صغيراً يجتمع فيه الغرباء لإقامة فريضة الصلاة وعند محراب هذا المسجد يوجد قبر النبي صالح». [30]

([29]) الموسوعة العربية، م13، ص363.

([30]) ابن جبير محمد بن أحمد الكناني : رحلة بن جبير، دار صادر، بيروت، 1985م، ص 276 .

وفي سنة 583 هـ / 1187م عقب معركة حطين حررها الناصر صلاح الدين وأطلق سراحمن فيها، ولم يقتل منهم أحداً، ووهبها لابنه الأفضل ودخلها المسلمون بقيادة صلاح الدين يوم الجمعة مستهل جمادى الأولى، وجعلت الكنيسة العظمى مسجداً بمعرفة القاضي الفاضل . [31]

وفي 17 جمادى الآخرة سنة 587هـ / 1187م، استولى عليها الصليبيون بعد حصار طويل ومعارك رهيبة دامت 36 شهرا بالتمام والكمال.

وعلى الرغم من أن الصليبيين أخذوها بالأمان، فإنهم أخذوا ثلاثة آلاف أسير من المسلمين في الحبال وحملوا عليهم حملة الرجل الواحد فقتلوهم صبراً بالسيف وذلك كله بعد اتفاقهم مع صلاحالدين على تبادل الأسرى بين الفريقين، وتسليم صليب الصلبوت الذي كان بيد صلاح الدين ولذلك ألغى اتفاقه معهم، ومات صلاح الدين حزناً على عكا، وعلى من استشهد فيها. [32]

وذكر العماد الكاتب: «أنه في يوم الجمعة 17 جمادى الآخرة 587 هـ الصليبيون عكا على أن يسمحوا للمسلمين بالخروج منها بأموالهم وأنفسهم مقابل تسليم البلد وشروط أخرى. [33] وفي عصر يوم الثلاثاء 17 رجب أخرج الصليبيون أسرى المسلمين إلى المرج خارج عكا، وقتلوهم عن آخرهم، وكان ذلك نقضاً لشروط الصلح مع صلاح الدين». [34] 1187م، دخل-

2 -**أسباب فتح عكا:**

ذكر معظم المؤرخين أن سبب نقض الهدئة مع حكومة عكا، هو ما جرى على عدد من التجار المسلمين من الإهانة والقتل، وكان الفرنجة قد كثر طمعهم وفسادهم وقطعهم الطريق على التجار . [35] أما المنصوري فقد انفرد بذكر قصة لم يذكرها أحد، قال فيها: « وأصل ذلك ما حكاه والدي، قال:

ورد فقير من المسافرين عكا، ونزل المسجد المجاور لعين البقر، وهو مكان مبارك ، فوجد فيه جماعة من الفقراء، فلما كان وقت أذان الفجر أذنوا خفية ولم يفتحوا طاقات المسجد، فأنكر عليهم الفقير ذلك. فقالوا : إنها بلد كفر ونخشى الفرنجة .

2 - تحرير الساحل السوري

1- تحرير صور : 19 جمادى الأولى 690هـ / 19 أيار 1291م:

([31]) العماد الأصفهاني، محمد : الفتح الفني في الفتح القدسي، تح : محمود صبح، الدار القومية القاهرة، 1965م، ص 90 .

([32]) أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل : الروضتين في أخبار الدولتين تح : إبراهيم الزيبق مؤسسة الرسالة، بيروت 1997م 5 مجلدات، 4، ص268

([33]) الأصفهاني : الفتح الفني، من 513

([34]) المقريزي : السلوك ما، من 753 .

([35]) الدواداري : كثر الدرر م3، ص 301 .

اسمها اللاتيني TyRne : مدينة قديمة تقع جنوب بيروت بـ 85 كم ، أسسها الفينيقيون، وحررها العرب من البيزنطيين سنة 15 هـ / 636م في عصر الخليفة عمر بن الخطاب، ثم سيطر عليها الفاطميون في حدود سنة 370 هـ / 980م، حاول الصليبيون احتلالها فعجزوا عن ذلك.

وأخيراً وفي سنة 518 هـ / 1124 م سلمها حاكمها الفاطمي عز الدين نبأ مقابل مبالغ من المال من الصليبيين، والتجأ إلى الأمير ظهير الدين طغتكين في دمشق. [36]

منها. حاول نور الدين وصلاح الدين والعادل والظاهر بيبرس والمنصور قلاوون فتحها، فلم يتمكنوا

وعندما توجه الملك الأشرف إلى تحرير عكا، جهز جماعة من الجند مقدمهم الأمير علم الدين سنجر الصوابي الجاشنكير والي بر صفد إلى صور [37] لحفظ الطرق وتعرف الأخبار ومضايقة صور.

فلما فتحت عكا وعلم أهل صور بذلك، هربوا وأخلوا صور بعدما حال علم الدين سنجر الصوابي بين الصليبيين الهاربين والدخول إلى صور، ولم يبق فيها إلا عشرات من العجائز، فأرسل يعلم السلطان بما حصل.

فأرسل إليه السلطان طائفة من العسكر مع الأمير سيف الدين قطز المنصوري، وجماعة من الحجارين و الزراقين والنجارين لتخريب صور وحيفا، وذلك يوم الأحد 19 جمادى الأولى سنة . 690هـ / 19 أيار 1291م

ولم يكن الأشرف يفكر في احتلال صور، ولكن الله ألقى الرعب في قلوب أهلها فسلموها من غير قتال، مع أنها كانت من أمنع المدن. وقد تم تخريب صور وتسويتها بالأرض شأنها شأن عكا [38]

2 -تحرير صيدا : 18 رجب 691 هـ / 17 تموز 1292 م.

صيدا مدينة فينيقية كانت تدعى : صيدون، ويعود تاريخها إلى سنة 4000 ق.م.

تقع جنوب بيروت بـ 48 كم، فتحها العرب سنة 47 هـ / 667م، في عصر معاوية بن أبي سفيان بعد أن كانت تحت حكم البيزنطيين، وبعد ذلك احتلها الصليبيون سنة 505 هـ / 1111م ، ثم حررها صلاح الدين سنة 583 هـ / 1187م، ثم صارت مناصفة بين المسلمين والصليبيين في عصر الملك المعظم بن العادل. وبعد وفاته سنة 624هـ / 1227م أهملها ولده الناصر داود فاحتلها الصليبيون مع عكا وصور وبيروت وعمروا سورها وقوي طمعهم في غيرها، وكان ذلك سنة 625 هـ / 1228م [39]

حاصرها الأمير علم الدين سنجر الشجاعي نائب دمشق ومعه الأمير زين الدين كتبغا، وسقطت يوم الاثنين 20 جمادى الأولى سنة 690هـ / 1291م، وفي اليوم التالي وصلت الأخبار بفتحها إلى دمشق. [40]

([36]) المقريزي : السلوك م1، ص(. 765 – 761 3)؛ ابن الجزري : تاريخ ابن الجزري، م1، ص 45.

([37]) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، م8، ص 7.

([38]) اليونيني : ذيل مرآة الزمان، م 5، ص 27؛ رئسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، م3، ص 710 .

([39])) الموسوعة العربية : 12، ص(331)؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، تح : عبد السلام التدمري، بيروت 1997، 11 مجلداً، م 10 ، ص 430 .

([40]) اليونيني : ذيل مرأة الزمان، م5، ص 25 .

والتجأ أهلها إلى جزيرة فيها برج غاية في القوة والمنعة لا يصله حجراً لمنجنيق، واستمر الحصار على هذا البرج والجزيرة قرابة شهرين.

وفي ليلة 18 رجب 690هـ / 1291م أحرق الفرنجة الجزيرة وصعدوا إلى المراكب، ودخل المسلمون فأحرقوا القلعة ودمروها وجعلوا عاليها سافلها . [41]

3 -تحرير حيفا 2 شعبان 690 هـ / 31 تموز 1291م.

حيفا: مدينة فينيقية عريقة، ورد اسمها في التلمود حيفه وسكيمينوس، ولم يرد ذكرها في التوراة وسماها الصليبيون كيفا، فتحها العرب أيام الخليفة عمر بن الخطاب، كما فتحوا الساحل السوري كله، وذكرت في التاريخ العربي في رحلة ناصر خسرو سنة 452 هـ / 1060م، ولم يكن لها شأن كبير.

احتلها الصليبيون سنة 494هـ / 1110م، وأصبحت تحت إمرة تنكريد، وبنوا فيها قلعة حصينة

حررها صلاح الدين بعد حطين سنة 583 هـ / 1187م وأمر بتدميرها وإحراقها. [42]

في سنة 587 هـ / 1191م استعادها الصليبيون مع عكاء وفي سنة 609هـ / 1212م تأسست فيها

رهبانية الكرمل.

وفي سنة 663هـ/ 1265م حررها الظاهر بيبرس وأمر بتدميرها، ثم احتلها الصليبيون ثانية . وحررها الأشرف خليل يوم 31 تموز 690هـ / 1291م بدون مقاومة وقتل رهبانها ودمرها، ثم أعاد بناءها ضاهر العمر في سفح جبل الكرمل المشهور بعدما كانت قائمة على لسان داخل البحر وذلك لأسباب حربية، وبقيت مع ذلك منسية . [43] ويقول البستاني: «إنها كانت في عصره قرية

حقيرة ثم ازدهرت مع بدايات القرن العشرين . [44]

4- تحرير بيروت : 23 رجب 690 هـ / 22 تموز 1291 م.

بيروت : مدينة موغلة في القدم، بدأت أهميتها بالظهور في العصر الفينيقي وكانت تسمى : بيروتا

. Beyroutocفتحها المسلمون سنة 19 هـ / 640م، وأصبحت منذ ذلك التاريخ وحتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي الميناء الرئيسي لدمشق والمرتبطة سياسياً وإدارياً

بها.

احتلها الصليبيون سنة 504 هـ / 1110م وبنوا فيها كنيسة مار يوحنا التي تحولت فيما بعد إلى الجامع العمري . حررها صلاح الدين سنة 583هـ / 1187م بعد معركة حطين . ثم عاد

([41]) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، 8، ص 121 .

([42]) الموسوعة الفلسطينية : م1، ص 300 .

([43]) رئسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، م3، ص 312 .

([44]) البستاني بطرس : دائرة معارف البستاني، بيروت، دار المعرفة 1881م، م7، ص 278؛ المقريزي : السلوك، م1، ص 527 .

الصليبيون واحتلوها بعد عشر سنين . [45]

وكان أهل بيروت متمسكين بالهدنة مع المسلمين، لكنهم أووا من هرب من الفرنج من عكا وغيرها، فخالفوا شروط الهدنة.

كما طلب منهم أن يضموا مراكبهم إلى مراكب المسلمين أثناء حصار عكا، فرفضوا . ففرض عليهم حصار بحري، ثم أخرجوا منها، واستولى المماليك على القلعة بما فيها يوم 23 رجب 690 .هـ / 1291 م

وكانت القلعة امتنعت قليلاً فتم التفاهم مع صاحبها "ملتام فاستسلم، وأسر كل من في القلعة والبلد من المقاتلين والفرسان . [46]

وذكر ابن الفرات : «أن الملك الأشرف أمر نائبه علم الدين سنجر الشجاعي بفتح بيروت، فلما وصل إليها تلقاه أهلها وأنزلوه في القلعة، فلما استقر بها أمرهم أن ينقلوا أولادهم ونساءهم إليها ففعلوا ذلك، فعمد إلى المقاتلين فقيدهم وألقاهم في الخندق، وكان ذلك يوم 23 رجب». [47]

وذكر ابن الجزري: «إن ذلك كان انتقاماً من الشجاعي لما فعله الصليبيون بأمراء التنوخيين الذين

غدروا بهم وقتلوهم». [48]

5 -**تحرير عثليث** : شعبان 690هـ / 14 آب 1291م.

عثليث، أو عتليت قرية جنوب حيفا بـ 13 كم عند جبل الكرمل. كانت تعرف بالحصن الأحمر، وهي موغلة في القدم، منذ عصور ما قبل التاريخ، حررها المسلمون من البيزنطيين على يد معاوية بن أبي سفيان . احتلها الصليبيون سنة 504هـ / 1110م . حررها صلاح الدين سنة 583 هـ / 1187م، ثم سقطت ثانية بيد الصليبيين سنة 614 هـ / 1217م أقام فيها فرسان الداوية و التيوتون قلعة حصينة ضخمة تعرف بقلعة الحجاج، ثم ضاعفوا تحصينها حتى أصبحت القاعدة الأولى لفرسان الداوية في بلاد الشام. [49]

6 -تحرير جبيل : شعبان 690هـ / آب 1291 م

جبيل: مدينة من أقدم مدن العالم، تقع بين طرابلس وبيروت على نهر إبراهيم، كانت تسمى:

([45]) البستاني : دائرة المعارف، م5، ص 744–753 .

([46]) اليونيني : ذيل مرآة الزمان، م5، ص 30 .

([47]) ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك ، م 8، ص 121

([48]) ابن الجزري : تاريخ ابن الجزري، م1، ص 54 .

([49]) الموسوعة الفلسطينية : م 3، ص 188؛ المقريزي : السلوك، م1، ص 528؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية، م2، ص 262 .

أفايا، وسماها الكنعانيون جيبال، وسماها اليونان بيبلوس، فتحها العرب أيام الخليفة عمر على يد يزيد بن أبي سفيان سنة 13 هـ / 634 م. ثم أعاد الروم احتلالها، لكن مُعاوية استعادها منهم. و في سنة 353 هـ / 964م، احتلها الروم 13 سنة. (50)

7 -تحرير طرطوس : 5 شعبان 690 هـ / 1291 م.

أنطرطوس أو أنطرسوس أو طرطوس وهي أنترادوس القديمة المقابلة لجزيرة أرادوس -أرواد : مدينة فينيقة قديمة فتحها العرب المسلمون بقيادة عبادة بن الصامت سنة 17 هـ / 638 م، وحصنها معاوية بن أبي سفيان، وعندما فتح قبرص فتح معها جزيرة أرواد . وكانت طرطوس من أعمال حمص. سيطر عليها البيزنطيون مدة من الزمان ثم أخرجوا منها . وفي سنة 495 هـ /1102 م احتلها الصليبيون بقيادة ريموند أمير تولوز وأقام فيها الداوية. (51)

حررها صلاح الدين سنة 584هـ / 1188م بعدما دمر أبراجها الحصينة وأبقى كنيسة العذراء المشهورة . والقلعة ما تزال إلى اليوم من المعالم الأثرية في طرطوس.

وقد أعاد الصليبيون احتلال المدينة وبقيت في أيديهم حتى عصر الأشرف . وكانت طرطوس قد وقعت معاهدة صلح مع الملك المنصور قلاوون سنة 681 هـ / 1282م وكان يتبعها حصن العريمة وميعار.

وفي الخامس من شعبان 690 هـ / 3 آب 1291م هاجمها الأمير سيف الدين بلبان الطباخي، فهرب أهلها إلى جزيرة أرواد، ودخلت الجيوش الإسلامية المدينة وخربتها . (52)

8 -تحرير قلعة الروم (قلعة المسلمين)

كان الملك الأشرف خليل يدرك تحالف الأرمن مع الصليبيين والمغول معاً، وكان يخطط لاجتياح العراق وتدمير من يحتلها من المغول الذين تفرغوا تماماً للكيد للمسلمين الذين كانت دولة المماليك هي حصنهم الأول والمدافع عنهم، ولذلك قرر توجيه ضربة قاضية للأرمن من خلال فتحقلعة الروم التي صارت فيما بعد قلعة المسلمين

وهذه القلعة غاية في الحصانة، وتقع على الضفة اليمنى للفرات مقابل البيرة بينها وبين سميساط . وهي في وسط بلاد المسلمين، وفيها مقام بطرك الأرمن خليفة المسيح عندهم ويسمونه "كتاغيكوس"، وكان المسلمون قد تركوا فتح هذه القلعة كما تركوا البيع وأماكن العبادة النصرانية . (53)

9- تحرير بهنساً و مرعش وتل حمدون:

وفي العام التالي ، في شهر رجب 692 هـ / 1293م حضرت رسل الأرمن من لدن صاحب سيس ، العاصمة الجديدة للأرمن وبعد أخذ ورد تم الاتفاق على أن يُسلموا السلطان ثلاث قلاع من أحسن حصون صاحب سيس هي بهنسا و مرعش وتل حمدون وكان ذلك تمام الفتح ، وتم في رجب . 692 هـ / 1293 م

---

(50) الجزري : تاريخ ابن الجزري ، ص 340

(51) ابن الجزري : تاريخ ابن الجزري، م1، ص 55.

(52) اليونيني : ذيل مرآة الزمان، م5، ص 31 .

(53) ابن الجزري : تاريخ ابن الجزري، م1، ص 55؛ الموسوعة الإسلامية : م 15 ، ص 157، بقلم هونيكمان .

وكانت بهنسا مدينة إسلامية ، سلمها هولاكو إلى الأرمن ، فجعلوها رأس حربة لقتال المسلمين، كما تم تسليم الأمير طوغان، والي بر دمشق الذي كان أسيراً لديهم . [54]

✧الخاتمة✧

يتضح من خلال هذا البحث أنّ دولة المماليك لم تكن مجرّد قوة عسكرية حكمت مصر والشام، بل كانت سدًّا حصينًا أمام مشاريع الاحتلال الصليبي والمغولي في الشرق الإسلامي. فقد استطاع سلاطينها ـ ولا سيما المنصور قلاوون والأشرف خليل ـ أن يوظفوا إمكانات الدولة في إعادة بناء مفهوم الجهاد ووحدة الصف الإسلامي بعد أن أصابت العالم الإسلامي صدمات سياسية كبرى، أبرزها سقوط بغداد بأيدي المغول ونكبات الحروب الصليبية.

وقد أظهرت الأحداث التاريخية أن السياسة العسكرية للمماليك امتازت بالمرونة والتكتيك الدبلوماسي حيناً، وبالحزم والمواجهة المسلحة حيناً آخر، حيث شملت مشاريع التحرير تحرير الحصون والسواحل والحواضر الإسلامية تباعاً: من حمص والمرقب، إلى طرابلس، وصولًا إلى عكا التي سقط بسقوطها آخر معقل صليبي في الشام، فطويت صفحة الاحتلال بعد قرنين من الصراع.

كما عُرفت دولة المماليك بقدرتها على توظيف التحالفات الإقليمية بما يضمن توازن القوى، ومواجهة التحالف الصليبي–المغولي الذي كاد يقلب موازين التاريخ، لولا الثبات المملوكي في معارك حطين الثانية (عين جالوت)، وحمص، وشقحب وغيرها. ومن ثمّ فإن الدور الذي اضطلع به المماليك أسهم في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، وصون مراكز الحضارة والشريعة في مصر والشام من السقوط في يد الغزاة.

وبناءً على ذلك، يمكن ترجيح أنّ عصر المماليك كان مرحلة مفصلية في التاريخ السياسي والعسكري الإسلامي، أعاد خلالها المماليك للأمة قدرتها على المبادرة والهجوم بعد عقود من الدفاع والانكسار، وبقوا مثالًا على قيادة الشعوب المستضعفة نحو التحرير، بصرف النظر عن اختلاف أصولهم؛ فكانت عروبة الدولة بالثقافة والرسالة لا بالأعراق.

قائمة المصادر والمراجع :

أولًا: المصادر العربية

1- الأصفهاني، عماد الدين (ت 597هـ):
- الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق: محمد محمود صبح، دار الفكر، دمشق (1987م).

2- ابن الأثير، علي بن محمد الجزري (ت 630هـ):
- الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت (1997م).

3- ابن الفرات، ناصر الدين محمد (ت 807هـ):
- تاريخ الدول، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (1998م).

4- بن جبير، محمد بن أحمد الكناني (ت 614هـ):
- رحلة ابن جبير، تحقيق: حسين نصار، دار المعارف، القاهرة (1980م).

5- بن الجزري، عز الدين ابن الفرات الجزري (ت 739هـ تقريبًا):
- تاريخ مملوكي—روايات عن العصر القلاوني (ضمن دراسات مملوكية)، دون ناشر محدد • مرجع مخطوط/منقول من البحث.

([54]) الدواداري : كنز الدرر ، م 3 ، ص 340 .

6- ابن شداد، بهاء الدين يوسف (ت 632هـ):
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي، القاهرة (1968م).

7- ابن تغري بردي، جمال الدين (ت 874هـ):
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة (1950م).

8- المقريزي، تقي الدين أحمد (ت 845هـ):
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة (1940م).

9- المنصوري، بيبرس الدوادار (ت 725هـ):
- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: عبد الله يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت (2012م).

ثانيًا: المراجع الأجنبية والمسيحية

10- بيكون، روجر (Roger Bacon) (ت 1292م):
- رسائل نقد الحملات الصليبية، وثائق منشورة ضمن دراسات لاتينية، بدون ناشر محدد.

11- جلبرت دي نوجنت (Gilbert of Tournai) (ت 1284م):
- تقارير إصلاح الكنيسة والحروب الصليبية، ضمن أرشيف الفاتيكان، ط. روما (غير مؤرخة).

12- وليم الصوري (William of Tyre) (ت 1186م):
- تاريخ الأعمال في الأرض المقدسة (Historia Rerum)، ترجمة: E.A. Babcock، مطبعة كولومبيا، نيويورك (1943م).

ثالثًا: دراسات المستشرقين

13- موير، وليم (William Muir) (ت 1905م):
- The Mameluke Dynasty، دار جون موراي للنشر، لندن (1896م).